

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فالمجتمع المسلم متآلف يشدُّ بعضه بعضاً، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحمَّى، يرحم قويُّه ضعيفَه، ويَجْبُر مُوسِرُه كَسيرَه.

وفي المسلمين فئةٌ فقدت ركناً تأوي إليه يمسح دمعها ويواسي حزنها، فتولَّى الله شأنها وعظَّم أمرها، وأمر الأمم في سالف القرون ولاحقها بالإحسان إليها، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، وأمر بلين الكلام معهم، فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، وجعل البذل لهم من خصال البرِّ والتَّقوى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، وجعل لهم خُمُس المغنم، فقال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ومنحهم قَسْماً من خُمُس الفيء وهم لم يغزوا ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وإذا حضروا قَسْمَ تركةٍ نُدب إعطاؤهم منها ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

❖ معاملة اليتيم بالحسنى:

أمر الله أن يكون التَّعامل معهم بالعدل ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾، ونزل القرآن في شأن المرأة الصَّغيرة منهم تعظيماً لشأنهم، فأمر من خَشِي أن لا يعدل في صداقها أن يعدل عنها إلى غيرها، فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، ولمَّا سأل الصَّحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ رسولَ الله ﷺ عن معاملتهم؛ أنزل الله قولَه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، واستفتوا النَّبيَّ ﷺ عن صغار النِّساء من اليتامى؛ فأنزل الله قولَه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

حقُّهم أتى بعد حقِّ القريب في آيات عديدة، والله يذكِّر بشأنهم مع حال الأولاد الضُّعفاء، فقال: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾، ووبَّخ ـ سبحانه ـ من لم يكرم يتيماً، فقال: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾، وقَرَنَ سبحانه دعَّه ـ وهو: قهرُه وظلمُه ـ بالتَّكذيب بيوم الدِّين ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، ونهى اللهُ صفوةَ خلقِه أن يقهر أحداً منهم ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي: لا تذلَّه وتنْهرْه وتُهِنْه، ولكن أحسن إليه وتلطف به».

❖ أموال اليتامى:

حَفِظَ الله أموالهم، ونهى عن قربها إلا بالحسنى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ونهى النَّبيُّ ﷺ الضَّعيف من صحابته أن يتولَّى على شيء من مال اليتيم، فقال ﷺ: «يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً وإنِّي أحبُّ لك ما أحبُّ

لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَولَّيَنَّ مال اليتيم» رواه مسلم. وأكلُ مال اليتيم من السَّبع المهلكات، قال ﷺ: «اجتنبوا السَّبع الموبقات. . ـ وذكر منها ـ: وأكل مال اليتيم» متفق عليه.

ومن أكل مال اليتيم ظلماً أشعل في بطنه ناراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، وإذا رَشَد أُعطي ماله وافياً من غير بَخْسٍ أو إخفاء شيءٍ منه ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾.

❖ البركة في كفالة اليتيم:

اليتيم يأتي إلى البيت بالخيرات، وتتنزَّل بحلوله الرَّحمات، ويلين به القلب من الزَّلات، سأل رجل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: كيف يرقُّ قلبي؟ قال: «ٱدْخُلِ المقبرة، وامسح رأس اليتيم».

وأطيب المال ما أُعطي منه اليتيم، قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَة، فنِعْمَ صاحبُ المسلم ما أُعطي منه المسكين واليتيم وابن السَّبيل» متفق عليه.

والإحسان إلى اليتيم يفرِّج كروب الآخرة ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وإطعامهم سبب لدخول الجنَّة ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

❖ الأيتام في بيوت العظماء:

كان النَّبيُّ ﷺ قدوة في كفالة الأيتام، فاتَّخذ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في داره أكثر من عشرة أيتام، يحوطهم برعايته وكفالته، فكان لهم أباً رحيماً مشفقاً محبّاً لهم.

ومن كفل يتيماً كان مع النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أنا وكافل اليتيم في الجنَّة كهاتين» ـ وأشار بأصبعيه السَّبَّابة والوسطى ـ» متفق عليه. قال ابن بَطَّالٍ ـ رحمه الله ـ: «حقٌّ على كلِّ من سمع هذا الحديث أن يعمل به، ليكون رفيقَ النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك».

وقد اقتفى الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ أثر النَّبيِّ ﷺ، فكفل الخلفاء الرَّاشدون أيتاماً في بيوتهم، كما كفل نساءٌ ـ أيضاً ـ أيتاماً في بيوتهنَّ؛ كأمِّ المؤمنين عائشة، وميمونة، وزوجة ابن مسعود ـ رضي الله عنهنَّ ـ، وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذا رأى يتيماً مسح رأسه وأعطاه شيئاً، وقال أبو الدَّرداء ـ رضي الله عنه ـ: «ارحم اليتيم، وَٱدْنُ منه، وأطعمه من طعامك».

واليتيم محفوظ بحفظ الله وكلاءته ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾. والله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يغلق عن عبد باباً إلا ويفتح له برحمته وفضله أبواباً غيره.

❖ أيتام خلَّد التَّاريخُ ذكرَهم:

اليتم قد يكون طريقاً للعلوِّ والشُّموخ، وفي الأمَّة من فقد أباه فأصبح عظيماً.

نشأ أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يتيماً، وكان يرعى لقومه الغنم، ثم لازم النَّبيَّ ﷺ؛ فكان راوية الإسلام.

والإمام البخاري ـ رحمه الله ـ فَقَدَ أباه وهو دون العامَيْن، فنشأ في حِجْر أمِّه في قِلَّةٍ من العيش وضيقٍ من الحال، فحفظ القرآن في صِبَاه وجالس العلماء؛ فَسَادَ أهل زمانه.

والإمام ابن الجوزيِّ ـ رحمه الله ـ نشأ يتيماً على العفاف والصَّلاح في حضن عمَّته فحملته إلى العلماء؛ فصنَّف ووعظ، قال ـ رحمه الله ـ: «أسلم على يديَّ أكثرُ من مائة ألف»، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: «ولا أعلم أحدا صنَّف في الإسلام أكثر من تصانيفه».

وفي الأمَّة أعلام حفَّاظ كانوا أيتاماً، كابن حجر، والسّيوطي، والأوزاعي، والثَّوري، وغيرهم ـ رحمهم الله ـ.

وسيِّد الأيتام: نبيُّنا محمَّد ﷺ، توفِّي والده، ثم تقلَّب في أحضان متوالية، من أمِّه إلى جدِّه، إلى عمِّه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾.

❖ وراء كلِّ يتيم عظيم:

إنَّ وراء هؤلاء الأيتام مخلصين من الأمَّهات والأقارب والنَّاصحين ممَّن تحمَّلوا أمانة حفظ اليتيم، فتوكَّلوا على الله وأحسنوا الولاية، وقاموا بالرِّعاية خير قيام.

وإذا فقد اليتيم أباه تضاعف واجب الأمِّ نحو أبنائها، أُمُّ موسى تولَّت موسى واصطفاه الله نبيّاً ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾.

وزكريَّا ـ عليه السلام ـ كفل مريم ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، ومريم ابنة عمران أحسنت تربية ابنها عيسى ـ عليه السلام ـ واختاره الله رسولا.

والإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ مات والده ـ وهو حَمْلٌ في بطن أُمِّه ـ، وعاش حياة فقر وفاقة فحضنته أمُّه

وأدَّبته وأحسنت تربيته، قال ـ رحمه الله ـ: «كانت أمِّي توقظني قبل الفجر بوقت طويل وعمري عشر سنوات، وتدفئ لي الماء في الشّتاء، ثم نصلِّي أنا وإياها ما شئنا من صلاة التَّهجُّد، ثم تنطلق بي إلى المسجد في طريق بعيد مظلم موحش، لتصلي معي صلاة الفجر في المسجد، وتبقى معي حتى منتصف النَّهار تنتظر فراغي من طلب العلم وحفظ القرآن»، فبصبر هذه الأمِّ على اليتيم أخرجت عالماً من علماء المسلمين وأئمتهم.

❖ واجب من يرعى يتيماً:

ويجب على الأمِّ والأوصياء و الأولياء: الإحسان الى اليتيم في التَّربية والرَّحمة، وأن لا يقتصر ذلك على الشّفقة والعطف والإنفاق فحسب؛ بل يكون مع ذلك التَّوجيه الحسن، والعلم النَّافع، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾.

وأوَّل ما يوجَّه إليه اليتيم هو حفظ كتاب الله العظيم، فهو العاصم والحافظ والمخرج من الفتن، ثم طلب العلم وحفظ الحديث والفقه وغير ذلك، ومجالسة العلماء، ولزوم الصُّحبة الصَّالحة، مع الاجتهاد في صرفه عن أسباب الفتن.

وعلى من يرعى يتيماً أن يراقب ربَّه في ذلك الضَّعيف، وأن يخلص في عمله معه لله، فالإخلاص ييسر العمل ويكسوه حلاوة، وعليه أن لا يبخل على اليتيم بابتسامة، وأن يبذل له ويعطيه ويرحمه، ويقيل عثرته، ويحسن ولايته، قال قتادة ـ رحمه الله ـ: «كُنْ لليتيم كالأب الرَّحيم».

واليتيم: هو طفل اليوم ورجل المستقبل، يصلح ـ بإذن الله ـ بصلاحك، ويحسن بإحسانك، والله يكافئك على كلِّ ما عملته من تربية وإحسان، ويجازيك على ذلك الجزاء الأوفى، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

❖ كفالة اليتيم سعادة ونعمة:

الله ـ سبحانه ـ جابرٌ كسر اليتيم ورافعٌ قدره، ومن كُتب عليه اليتم وهو ضعيف، فالجنَّة مأوى المستضعفين من المؤمنين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «ألا أخبركم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُستضعَفٍ لو أقسم على الله لأبرَّه» متفق عليه.

وإعالة اليتيم وكفالته، سعادة ونعمة، فافرح بإحسانك إلى اليتيم والحنوِّ عليه وقضاء حاجاته، واحذر احتقاره، فبحسب امرئٍ من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم.

ومن فقد رعاية والده من غير يُتْمٍ، وجب على المجتمع الإحسان إليه وإحاطته بالرِّعاية والتَّربية.

نسأل الله أن يحفظ أبناء المسلمين، وأن يوفِّقهم لكلِّ خير، وأن يصرف عنهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.